

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الهجرة النبوية الشريفة

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْفَضْلِ وَالتَّكْرِيمِ، أَكْرَمَ بِالْهِجْرَةِ نَبِيَّهُ الْكَرِيمِ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُؤْتِي الْخَيْرِ الْعَمِيمِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ، وَصَفَهُ رَبُّهُ بِقَوْلِهِ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ السَّائِرِينَ عَلَى الْمِنْهَاجِ الْقَوِيمِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ التَّقْوَى خَيْرُ الزَّادِ، وَالطَّرِيقُ إِلَى السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَوْمَ الْمَعَادِ ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ البقرة: ١٩٧

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الْهِجْرَةَ النَّبَوِيَّةَ حَادِثَةٌ جَدِيرَةٌ بِالتَّأَمُّلِ، وَمَظْهَرٌ حَقِيقٌ بِالدِّرَاسَةِ، فَقَدْ قَضَى قَبْلَهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَامًا بِمَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ، يُخَاطِبُ الْقُلُوبَ، وَيُنَبِّئُ الْعُقُولَ، وَقَدْ لَبَسَ لِبَاسَ الصَّبْرِ، وَتَدَرَّعَ بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ الَّذِي اسْتَحَقَّ بِهِ تَنَاءُ اللَّهِ، فَقَوْمُهُ كَانَتْ تَزْدَادُ شِدَّتَهُمْ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، وَأَخْلَاقُهُ كَانَتْ عَظِيمَةً تَدْعُو إِلَى الْعَجَبِ، وَتَحْمِلُ عَلَى الدَّهْشَةِ، وَازْدِيَادُ الْعَدَاوَةِ مَعَ عَظَمَةِ الْخُلُقِ كَانَ شَاهِدًا عِنْدَهُمْ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ، وَصَحِيحِ دَعْوَتِهِ، حَتَّى قَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ الأنعام: ٣٣، وَمِنْ شَأْنِ هَذِهِ الْحَالِ أَنْ تَجْعَلَ مَنْ عَادَاهُ يَتَرَاجَعُ عَنْ عِدَاوَتِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا؛ حَتَّى يَكُونَ قَرِيبًا مِنْ قَبُولِ الْحَقِّ، وَالْإِنْضِوَاءِ تَحْتَ لُؤَاءِ الْهِدَايَةِ؛ فَيَتَحَقَّقُ قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فصلت: ٣٤، وَلَعَمْرُ لِلَّهِ ذَلِكَ هُوَ الدِّينُ؛ فَالَّذِينَ الْمُعَامَلَةُ.



## أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ خُلُقَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ كَانَ أَكْبَرَ وَسِيْلَةٍ وَاجَهَةٍ بِهَا مَنْ يَقِفُ فِي وَجْهِ دَعْوَتِهِ، وَأَعْظَمُ شَيْءٍ جَعَلَ الْقُلُوبَ تَتَجَذَّبُ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ مَنْ يُظْلَمُ وَيَعْفُو، وَيُمْنَعُ وَيُعْطَى، وَيُقْطَعُ وَيَصِلُ، صَاحِبُ حَقِّ وَأَيُّ حَقِّ، وَحَامِلُ رِسَالَةٍ وَأَيُّ رِسَالَةٍ؛ وَإِنَّ حَيَاةَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ فِي مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ حَيَاةَ أَخْلَاقٍ وَدَعْوَةٍ إِلَى اللَّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَالْمُجَادَلَةِ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ، لَمِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي أَخَذَ بِهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ لِلْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ؛ فَلَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ سِلَاحًا وَلَا مَالًا، بَلْ حَمَلَ خَلْقًا عَظِيمًا، حَمَلَ إِلَيْهِمْ (أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعَمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَّلَامٍ) فَقَالَ مَنْ سَمِعَهُ: عَلِمْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَحُسْنُ مَعَامَلَةِ النَّاسِ عَلَامَةٌ عَلَى الصِّدْقِ مَعَ اللَّهِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ قَيْصَرُ الرُّومِ قَوْلَتَهُ الشَّهِيرَةَ: مَا كَانَ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ.

## عِبَادَ اللَّهِ:

لَقَدْ كَانَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ نَجَاحِ الْحَيَاةِ فِي الْمُجْتَمَعِ الْجَدِيدِ الْمَأْخَاةِ: الْمَأْخَاةُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ، فَالْمَأْخَاةُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ؛ لِتَكُونَ ظَاهِرَةً الْمَأْخَاةُ دَرْسًا بِأَنَّ الْمُجْتَمَعَ فِي ظِلَالِ الْمَأْخَاةِ يَكُونُ قُوَّةً لَيْسَتْ مِنْ بَعْدِهَا قُوَّةٌ، قُوَّةٌ فِي وَجْهِ التَّحَدِّيَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ وَالخَارِجِيَّةِ؛ فَيَتَأَسَّسُ مُجْتَمَعٌ قِوَامُهُ التَّعَاوُنُ، وَحِصْنُهُ الْمَحَبَّةُ، يَحْمِلُ غَنِيَّتَهُمْ فَقِيرَهُمْ، وَيَعْطِفُ قُوَّتَهُمْ عَلَى ضَعِيفِهِمْ، وَتُصَانُ فِيهِ الْخُفُوقُ، وَتَحْفَظُ فِيهِ الْحُرْمَاتُ، وَتَتَنَزَّلُ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ، وَتَغْشَاهُ الرَّحْمَةُ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الْحَجَرَاتُ: ١٠، وَقَدْ ضَرَبَ أَفْرَادَ الْمُجْتَمَعِ الْجَدِيدِ أَرْوَعَ الْأَمْثَلَةِ فِي ظِلَالِ الْمَأْخَاةِ، وَقَدْ سَجَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَمْثَلَةِ فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الْحَشْرُ: ٩

## أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الدُّرُوسِ الَّتِي تُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ عَدَمُ اسْتِعْجَالِ الْحَصَادِ، فَدَعَا النَّبِيَّ الْكَرِيمَ قَوْمَهُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَامًا مَا كَانَتْ لِتَضِيْعِ سُدَى؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيْعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، بَلْ كَانَ ذَلِكَ إِحْكَامًا لِلْبُنْيَانِ، وَجُهْدًا عَظِيمًا فِي بِنَاءِ عَقْلِ الْإِنْسَانِ، وَجَدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَرَتَهُ عِنْدَ فَتْحِ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ؛ فَكَانَ النَّاسُ كَانُوا يَنْتَظِرُونَهُ، وَقُلُوبُهُمْ كَانَتْ فِي شِدَّةِ عَطَشٍ إِلَى رِسَالَتِهِ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ الْكَرِيمَ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةَ، فَرَأَوْهُ كَمَا ذَهَبَ عَنْهُمْ، وَوَجَدُوهُ كَمَا كَانَ بَيْنَهُمْ، رَحِيمًا بِهِمْ، كَثِيرَ التَّوَضُّعِ، عَظِيمَ الْبِرِّ، وَافِرَ الْإِحْسَانِ، وَكَانَ نَصْرُهُ نَصْرًا عَلَى النَّفْسِ، وَفَتْحُهُ فَتْحًا لِلْقُلُوبِ؛ فَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَلَمْ يَكُنْ كَغَيْرِهِ عِنْدَ الْإِنْتِصَارِ رَافِعًا لِلرَّأْسِ، مُمْتَطِيًا صَهْوَةَ الْكِبَرِ، بَلْ كَانَ قَدْ حَنَا رَأْسَهُ لِلَّهِ، عَارِفًا بِحَقِّ مَنْ يَلْقَاهُ؛ فَيُوقِرُ الْكَبِيرَ، وَيَرْحَمُ الصَّغِيرَ؛ فَهُوَ كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُ رَبُّهُ جَلَّ جَلَالُهُ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

الأنبياء: ١٠٧

أَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ، وَأَسْأَلُ لِي وَلَكُمْ مَغْفِرَةَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَاوَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَعَلِّمُوا أَنْ أَعْظَمَ مَا تَحْتَاجُهُ مُجْتَمَعَاتُنَا تِلْكَ الْقِيَمَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي عَكَسَتْهَا حَادِثَةُ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، تَحْتَاجُ إِلَى تَرْبِيَّةٍ لَيْسَتْ مَعَهَا عَجَلَةٌ فِي قَطْفِ الثَّمَارِ، تُبْنَى بِهَا الْعُقُولُ بِنَاءً مُحْكَمًا، وَتَجِدُ فِيهَا الْقُلُوبُ حَاجَتَهَا مِنَ الْإِيمَانِ؛ فَيَنْعَكِسُ ذَلِكَ عَلَى الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ؛ فَتَكُونُ الْأَقْوَالُ حَسَنَةً، وَالْأَفْعَالُ زَاكِيَةً (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) وَمِثْلُ هَذِهِ التَّرْبِيَّةِ لَا يَقْتَصِرُ أَثَرُهَا عَلَى النَّفْسِ، بَلْ تَجِدُ أَثَرَهَا يَنْتَقِلُ مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ؛ وَقَدْ صَوَّرَ الْقُرْآنُ لَنَا ذَلِكَ التَّأثيرَ الْعَجِيبَ، وَأَثَرَ تِلْكَ التَّرْبِيَّةِ فِي الْأَجْيَالِ؛ فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الحشر: ١٠

